الادب السرياني نموذجا للثقافة الانسانية عبر العصور

يأخذ الادب السرياني العراقي دوره الاساسي في تفعيل الحركة الثقافية في بلد متعدد الاعراق والاثنيات مثل العراق في عهد الحرية واشتغال هذه البنى والاصول وسط جو من العمل المنتج من اجل اثبات هويتها الثقافية والحضارية. وياتي انعقاد موتمر الادب السرياني في اب ٢٠٠٤ صورة لهذا الجو من الافاضة الثقافية واظهار ممكنات التلاحم والتأصيل.

وقد اصدر اتحاد الادباء والكتاب السريان تذكاريا خاصا ببحوث مؤتمر الادب السرياني جمع فيه بحوث المؤتمر الذي عقد في آب ٢٠٠٤ وكان من بحوثه (الادب العراقي القديم شكلا ومضمونا) للباحث بنيامين حداد و (جلجامش ... الملحمة الشعرية الاكادية المغناة كمرجعية عروضية للشعر الانساني) للباحث ادوار شمعون و (شعر السريان ونثرهم في العصرين القديم والوسيط) للدكتور يوسف قوزي و (لغة مار افرام الشعرية) للباحث جوزيف اسمر و (الحداثة في القصيدة السريانية) للباحث نزار الديراني و(جماليات الخطاب الشعري السرياني المعاصر) للباحث شاكر سيفو و (قصة ادم وحواء ودور المراة فيها) للباحث عمانوئيل موسى شكوانا و (قراءة متأنية في مستوى مسرحنا السرياني) للباحث صباح هرمز و (الحكاية الشعبية في ادب الاطفال السرياني) للباحث عادل دنو و (وقصاصون سريان ودورهم في مسيرة القصة العراقية) للباحث هيثم بردي اضافة إلى بحث باللغة السريانية عن (المسرح السرياني) للكاتب السوري السرياني عيسى رشيد.

وقد جاء بحث الاستاذ بنيامين حداد عن الادب العراقي القديم كمدقة تاريخية لبناء النص الابداعي العراقي بدراسته للنصوص الرافدينية القديمة واجدا فيها الاصالة والتنويع والتواصل اضافة إلى اسبقيتها التاريخية عن سواها من اداب الحضارات الأخرى فيما تاتي دراسة ادوار شمعون عن ملحمة جلجامش كعمل تطبيقي عروضي يؤكد كونها مرجعية اساسية للنسق العروضي في الشعر الانساني عموما بعد اجراء تطبيقات متعددة باللغتين الانلكيزية والاسبانية اضافة للغتين السريانية والعربية بوجهيها الفصيح والعامي المتعدد اللجهات ، فيما كانت دراسة الاستاذ الدكتور يوسف قوزي عن الادب السرياني (شعرا ونثراً) في العصرين القديم والوسيط توثيقا تاريخيا لخدمة هذا الادب للتراث الادبي الانساني فيما وفرت الدراسات الحديثة التي قام بها الباحثون الاخرون في القصة والشعر والمسرح اثباتا لدور الادب السرياني الحديث في خدمة الثقافة السريانية ودور الاديب السرياني في الاداب العربية والكوردية والتركمانية العراقية المعاصرة.

المدى الثقافي: خاص

قصاصون سريان ودورهم في مسيرة القصة العراقية

هيثم بردي

يتفق اغلب نقاد ومنظروا القصة القصيرة في العراق على ان فجر القصة العراقية بزغ في العقد الثاني من القرن العشرين، وان القاص محمود احمد السيد هو اول من كتب القصة القصيرة في العراق وبمواكبة حثيثة ودؤوبة من قبل سليمان فيض الموصلي وعطا امين ويوسف متي، ومن ثم سارت القصة العشرينية بين مقومات القصة الكلاسيكية الغربية والموروث الفقير للمقامة المقالة، وكان اغلب المؤسسين للقصة متاثرين بالقص المترجم لاجادتهم أكثر من لغة، ثم جاءت فترة الثلاثينيات والاربعينيات التي تميزت بالواقعية التصويرية الناقلة للحيوات والتفاصيل عبر تقرير يتميز بالفجاجة والتسطيح المزخرف كفسيفساء لا معنى لها، بيد ان هذه الفترة تميزت بنقل القصة من ارض خيالية بعيدة عن الواقع إلى مزج القصة بالواقع المعاش وبوصف تصويرية تفصيلي مباشر وتألق في هذه الفترة القصاصون (ذو النون ايوب . جعفر الخليلي . انور شاوول . عبد المجيد لطفي . شاكر خصباك) . ارتدت القصة العراقية ثوبها المتقدم المعروف بالواقعية الاشتراكية الانتقادية على يد (فؤاد التكرلي . نزار عباس . غانم الدباغ . عبد الله نيازي . ادمون صبري . مهدي عيسى الصقر . غائب طعمة فرمان) وكانت الخمسينيات بحق حقبةو ازدهار وتطور القصة العراقية وتميزها وانتشارها على مساحة الوطن العربي وريادة القصة العراقية بتيار الوصف التحليلي المعتمد على المنلوج والحوار والوصف الداخلي لاغوار النفس الانسانية على يد القصاص المبدع عبد الملك نوري في مجموعته القصصية (نشيد الارض) التي صدرت عام ١٩٥٤ .

وجاءت الانتقالة المعاكسة والمتالقة المعاكسة والمتالقة في فترة الستينيات والعالم كله يغرق حينذاك في ادب ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث التساؤل الذي روجه عراب ومبتكر ادب الوجود جان بول سارتر وزملاؤه سيمون دي بوفوار والبير كامو وصموئيل بيكيت ، فانتشرت هذه المدرسة بفضل ترجمات دار الاداب للمدرسة الوجودية، فانتشر الادب الوجودي إبان الستينيات وهي فترة تميزت بصراع الإنسان مع ذاته ومع العالم الخارجي، فاختبأ القاص الستيني خلف رموزه واحجياته وتغلب الشكل على المضمون وطغى الادب الوجودي بكل ضياعه وعتبه وتساؤلاته في كتابات (سركون بولس . جليل القيسي . محمد خضير . فهد الاسدي . عبد الرحمن الربيعي . عبد الستار ناصر . محمود جنداري . احمد خلف . يوسف الحيدري وغيرهم) وقيض لهذا الجيل ان ينوء بحمل كبير ويتواصل عبر عقود ثلاثة فمنهم من رحل عن عالمنا، ومنهم من توقف عن الكتابة، بينما واصل الاخرون الكتابة وبتجدد مطورين من ادواتهم ليكونوا علامات في القصة العراقية القصيرة المعاصرة اما فترة السبعينيات والثمانينيات فقد ولدت وترعرعت ناهلة من هذا الفيض الهائل من المدارس المتعددة فوجد نفسه في الواقعية أكثر من الوجودية بيد ان السبعينيات والثمانينات لم تفرز اسماء يمكن اعتبارها ظاهرة في الادب العراقي برغم وجود قصاصين لهم حضورهم المؤشر مثل (امجد توفيق . فرح ياسين . ثامر معيوف . وارد بدر السالم . ميسلون هادي . عبد الستار البيصاني . حمد صالح ... وغيرهم) ولكن يمكن اعتبار التسعينيات بداية بروز تيار جديد في القصة العراقية قد يقوده السبعينيون والثمانينيون .... ربما؟ .

قصاصون سريان في مسيرة القصة العراقية:

لكوني اجيد السريانية نطقا من دون الكتابة واصولها وقواعدها، اقتصر بحثي عن ضالتي للذين كتبوا ابداعهم باللغة العربية، وبعد بحثي في بطون الدوريات والكتب تجمعت لدي معلومات كانت بعضها عالقة في ذاكرتي وذائقتي منذ البواكير، وكنت إبان الستينيات وبدء السبعينيات احس بالزهو والفرح وانا اقرأ هذه الكوكبة المتالقة في سماء القصة العراقية، فمن منا لا ينتابه الإحساس بالفخر وهو يقرأ هذه الاسماء (يوسف متي القاص الرائد الذي نقل القصة العراقية في ثلاثينيات القرن المنصرم من المقالة إلى القصة الفنية الناجحة وخاصة في قصته . حطام ، التي قال عنها الناقد الدكتور عبد الاله احمد: " فقد نجح في تقديم قصة قصيرة، تعتبر من اجمل القصص في الادب العراقي الحديث في هذه الفترة واجودها ويعني بالفترة زمن نشر القصة حيث نشرت في مجلة عطارد / العدد ١/ السنة الاولى / آب ١٩٣٤ / ص ٩). وقد نشر اضافة إلى قصته تلك قصصا اخرى بوأته كأحد الطليعيين الذين اضافوا لهذا الفن الكثير من الفن الراقي والحس الانساني مثل قصص عاطفة جامحة . سخرية الموت . ضحية العهد . في القرية . الرسالة... الخ، ولاهمية هذا القاص المجدد اقدم الناقد سليم السامرائي على جمع قصصه ونشرها في كتاب في سبعينيات القرن الماضي وفي المشهد القصصي العراقي اسم كان لهم حضوره البارز في عقد الخمسينيات عبر القصص والروايات والمسرحيات العديدة التي نشرها واصدرها عبر عقدين من الزمان الا وهو ادمون صبري الذي يعد من ابرز من صور الواقع حد النقل الصوري، اما سركون بولس القاص والشاعر والفنان الستيني المتجدد فقد طرح نفسه في الميدان كاحد المؤسسين للتيار الستيني المتطور والتقدم في القصة العراقية فالحديث عن تجربته في كتابة القصة القصيرة قد تحتاج إلى وقفة متأملة متعمقة لعمق تجربته وثراءها عبر قصصه القصيرة القليلة التي نشرها.

ثم جاءت مرحلة السبعينيات التي افرزت اسماء حفرت لنفسها جداول تسعى لكي تصب في نهر القصة العراقية فقد ظهر في الصورة قصاصون رفدوا الساحة نتاجاتهم ولا زالوا مثل : سعيد شامايا . بنيامين حداد . هيثم بردي . يونان هوزايا . عادل دنو . روبن بيث شموئيل ... وغيرهم.

الاصدارات القصصية للسريان منذ بواكير القصة العراقية وحتى الان:

على امتداد عمر القصة العراقية من بواكير القصة العراقية مطلع القرن الماضي ولغاية كتابة هذه السطور كان للقصاصين السريان اصداراتهم القصصية التي نجملها وفق الجدول التالي:

	اسم المجموعة القصصية	اسم القاص	سنة الاصدار
١	صيحات الفؤاد / قصص	فؤاد بطي	١٩٣٩ . بغداد
٢	العدالة / قصص	ميخائيل الياس غالي	١٩٣٨ . بغداد
٣	ضحايا الامال / قصص	يوسف حناني اسحق و جورجي عيسى قلاب (مرجح)	١٩٢٨ . بغداد
٤	الضعفاء	يوسف هرمز	١٩٢٧ . البصرة (مرجح)
٥	يزداندوخت / رواية	سليمان الصائغ	١٩٣٤ الطليعة الاولى ١٩٥٣ الطليعة الثانية
٦	حصاد الدموع	ادمون صبري	١٩٥٢
٧	المأمور العجوز	ادمون صبري	١٩٥٣
٨	قافلة الاحياء	ادمون صبري	١٩٥٤

في المشهد الثقافي المسيحي

من المعروف ان المسيحية التي نشأت في العراق قبل الإسلام بقرون امتزجت في ثقافتها وايمانها بالجذور الحضارية لبلاد ما بين النهرين العريقة. فكانت الحضارات السومرية والأكدية والبابلية والآشورية وأخيرا الحضارة المسيحية السريانية التي انتشرت في العراق وسوريا وواصلت التأليف والترجمة جنبا الى جنب مع الحضارة العربية في العراق لفترة تزيد على سبعة قرون، ثم انكمشت الثقافة المسيحية ولا سيما السريانية بعد ن غزت العراق أقوام فارسية وتركية ولذلك انحصرت هذه الثقافة في العصور الحديثة في الموصل وبلدات عديدة في شمال العراق.

اسهمت الثقافة السريانية وعلماؤها وأطباؤها في حركة النهوض العربي إبان تنامي الحضارة العربية التي ازدهرت في بغداد، وقد قدم هؤلاء العلماء والأطباء عصارة علمهم وثقافتهم لتعزيز جوانب أساسية من الحضارة العربية وخاصة من خلال مدارسهم العلمية التي كانت موجودة في جنديسابور والرها ونصيبين والحيرة. كما نشأت على أيديهم المستشفيات، وطوروا علوم الصيدلة ونشطوا حركة الترجمة.

أما في حقل الطب فكان معظم الأطباء، وعلموا على تأسيس المستشفيات.

اضافة إلى كل ذلك اسهم العلماء والأطباء والمترجمون السريان مع زملائهم مع العلماء والمترجمين المسلمين في تعزيز قيام أعظم اكاديمية علمية في العصور الوسطى وهي (بيت الحكمة) البغدادي وبذلك عملوا على ازدهار الحضارة العربية والانسانية.

وعند قيام العراق الحديث عام ١٩٢١، اسهم المثقفون المسيحيون في تكوين الثقافة العراقية، وعملوا مع اخوانهم المسلمين في تكوين ثقافته وآدابه ومعارفه، نذكر منهم وزير المالية الثاني في الحكومة العراقية يوسف غنيمة، واللغوي والأديب الأب أنستاس الكرملي صاحب مجلة (لسان العرب) ولعل افضل مجلة ادبية عراقية في منفتح القرن العشرين. والصحفي البارز ثابت عبد النور والأديب روفائيل بطي والمحاميان الديمقراطيان خدوري وكامل قزانجي، ومن الأدباء يعقوب سركيس ويعقوب مسكوني وغيرهم، ومن الآثاريين المتميزين بشير فرنسيس وفؤاد سفر، ومن العلماء مجيد خدوري ومتي خدوري والدكتور منير بني، ومن الصحفيين المعروفين توفيق السمعاني وجبران ملكون وروفائيل بطي وغيرهم.

وعلى الرغم من أن نسبة المسيحيين صغيرة من حيث العدد، إلا أنهم مواطنون نشطون في العمل والفكر والمعرفة، وهم في معظمهم متعلمون أو متخصصون وتكاد الأمية معدومة بينهم، وهم معروفون بحبهم واخلاصهم للعراق الذي عاشوا فيه منذ آلاف السنين. ولا يطمحون سوى في وضعهم على قدم المساواة مع جميع المواطنين، ولا يريدون سوى إقامة دولة علمانية ديمقراطية فيها المواطنون سواسية وينال الجميع حقوقهم في إبداء الرأي وفي حرية انشطتهم السياسية والاجتماعية وحرية جمعياتهم الثقافية وطقوسهم الدينية مع تمثيل لا يقل عن نسبتهم في السلطتين التنفيذية والتشريعية.

(المدى) الثقافي وجدت ان تحتفي بمجموعة من النشاطات الثقافية المسيحية بوصفها رافدا من روافد الثقافة في العراق، وستخصص بين وقت وآخر صفحة لمتابعة الندوات والنشاطات والمطبوعات التي تهتم بالفكر السرياني لايمانها بدور وفاعلية هذه الثقافة التي تمتد جذورها عميقا في الضمير والوجدان العراقيين.

المدى الثقافي

أشوريو اليوم: الاصل .. اللغة.. الوجود القومي

علاء المفرجي

يلقي كتاب (أشوريو اليوم: الاصل . اللغة . الموجود القومي) لمؤلفه عوديشو ملكو اشينا الصادر عن سلسلة منشورات الائتلاف الوطني الاشوري الضوء على تاريخ احد اهم الشعوب المكونة للنسيج الاجتماعي في العراق، هذا النسيج المتعدد الاطياف والاديان والمذاهب والعرقيات.

في بحثه المختصر يقدم المؤلف مقتطفات جلية وموثوقة ومن مصادرها الاصلية عبر مراحل التاريخ الاشوري ، منذ سقوط نينوى والى ما قبل القرن التاسع عشر، تلك المصادر التي تؤكد الوجود الاشوري شعبا عريقا ذا هوية حضارية متميزة في بلاد اشور.

اعتمد المؤلف في الحديث عن الاصل الاشوري ثلاثة مداخل تتعلق بالادلة التاريخية والتواصل الحضاري الاشوري والمعطيات الموضوعية.

فالادلة التارخية عن استمرارية الموجود الاشوري عبر التاريخ تؤكد الوجود القومي الاشوري، ومن خلال استمرارية هذا الوجود واستمراريتها حضارته ومدينته يظهر تواصل الاجيال واستمرايتها لهذا الشعب منذ القرون الغابرة حتى الان واشوريو اليوم من فساطرة وكلدان وسريان ليسوا الا من الاصل الاشوري القديم، مما يؤكد الوجود الاشوري في موطنه وخصوصا في الشمال أي في جبال اشور، حيث تستر الاشوريون في هذه الجبال والمناطق المنيعة من شدة الحروب، والتاريخ يخبرنا بان قوة عسكرية اشورية بقيادة آخ لاشور بانيبال خرجت من اشور نحو حاران ومن هناك اثر سقوط هذه المدينة على يد الكلدانيين اتجهت بقايا هذه القوة نحو جبال اشور واورارتو. ويؤكد النبي ناصرم الالقوشي هذا الخبر حينما وجه كلامه إلى ملك اشور وهو يقول: " وشتت شعبك على الجبال وليس من يجمعهم".

وفي مخطوطة لسترابون (٦٤-٢٢) ق. م ورد: " ان الاشوريين بقوا بعد سقوط دولة اشور... وان مدينة اشور رجع سكانها اليها بعد ان احتل كورش الدولة البابلية. لقد شيدوا هناك معابد للاله اشور حيث كانوا يسجدون له، وقد استمر هذا النوع من الطقوس للاله اشور حتى العهد الفرثي".

وفي مجال التواصل الحضاري الاشوري اعاد الاشوريون اعمار معظم مدنهم القديمة مثل نوزي وكاكازو وشيبانيبا، وحتى اشور اعيد اعمارها واصبحت مدينة عظيمة كما في أيام الامبراطورية الاشورية...

وعن دخول الاشوريين المسيحية منذ ايامها الاولى وهم في بلادهم وعلى ارضهم يقول الدكتور يوسف حبي:" يقول التقليد القديم جداً" ان المسيحية انتشرت في بلاد الشرق، منذ القرن الاول للميلاد. بما في ذلك مملكة رها والمناطق التركية الجنوبية والعراق ومناطق شمالية وغربية من ايران، ومناطق آخرى متاخمة"... والمناطق التي ورد ذكرها في هذا المقتبس تشكل بلاد اشور، الاصلية برمتها.. وان العديد . تبعا لذلك . من معابدهم قد تحولت إلى كنائس مسيحية للاجيال القادمة، ومن هنا جاء التشابه بل التطابق المدهش بين الفن المعماري الاشوري القديم وهندسة كنائس المشرق التي سوف تستمر اجيالا على هذا النمط" ويرجو طراز الصحن المستطيل " في الكنيسة" إلى تقليد بابلي قديم" كما يرى الدكتور حبي في "كنيسة المشرق".

مع هذه الخصائص والعادات واللغة والملابس الاشورية التي تؤكد اشورية الاشوريين هناك الفكر والتراث العقائدي ومبدا انتظار المنقذ الذي حمله الاشوريون في صدورهم وتناقلوه أبا عن جد كتقليد ووصية مقدسة كانوا يؤملون به النفس بحتمية النهوض الاشوري، بعد فقدان التاج والصولجان الامبراطوري.

وعن ادعاء انقطاع الصلة بين اشوريي اليوم مع اشوريي الامس، يرى ان هذا الرأي ليس مبنيا على المنطق وقاعدة علمية صحيحة. لان هناك الكثير مما يربط اشوريي اليوم باجدادهم، ولعل سوق مثال واحد يتعلق باسماء الاشهر كاف لتاكيد هذه الحقيقة. .. فهذه الاسماء نفسها منذ أيام اكد ونينوى واشور وبابل إلى اليوم فهي ما زالت الاسماء الرسمية للاشهر عند الاشوريين في القرن الحادي والعشرين. وكذلك عند الاقوام التي سكنت لاحقا ديار اشور، برغم ان بعضها لها اسماء خاصة باشهر السنة غير هذه الاسماء الاشورية.

في مبحث اللغة الاشورية يشير المؤلف وانطلاقا من تقسيم الباحثين للزمن إلى ما قبل التاريخ وما بعده والذي ينحصر في الخمسين قرنا ونيف الاخيرة فانه لبضعة قرون بعد هذا التاريخ كتبت اللغة الاشورية في العراق وانتشرت بالخط الذي سموه الاثاريون بالخط المسماري لانه يشبه المسامير.... هذه اللغة المكتوبة في اكد تمثل الأم الحقيقية لجميع اللغات واللهجات في العراق، وان انتشار نسخ ملحمة كلكامش في الوطن وخارجه وبهذه السرعة دليل دامغ على ذلك.

ويؤكد مشاهير المؤرخين والمستشرقين وعلماء الاثار على ان الكتابة المسمارية العراقية هي اولى الكتابات حتى الان. وان الكتابة الصورية المصرية قد جاءت من العراق.

وبينما اختار الانكليزي جورج راولينسون في منتصف القرن التاسع عشر للميلاد تسمية اللغة الاكدية لانها كتبت في عهد الدولة الاكدية، نرى ان العالم الاثاري الشهير ليو اوبنهايم اختار التسمية الصحيحة لقاموسه الشهير للنصوص المسمارية الواردة من اكد واشور ونينوى وبابل واور... الخ حيث اسماه القاموس الاشوري.

وهناك من يعتقد بل يجزم بان خارطة اللغة الاشورية قد انتهت مع نهاية الاشورية الثالثة أو الحديثة (١٤٠٠ . ٦٠٠) ق. م وان اللجهة البابلية من اشورية اكد قد انتهت حوالي (٦٠٦ . ٥٣٩) ق. م وان الاشوريين قد ابيدوا عن الوجود مع سقوط نينوى في ٦١٢ ق. م وسقوط بابل في ٥٣٩ ق. م وان ديارهم ومقاطعات دولتهم من منطقة الاهوار على الخليج والى بحيرة وان واورميا ومن هناك إلى انطاكيا والساحل الشرقي للبحر المتوسط قد اصبحت خاوية مقفرة من اصحابها في القرن السادس قبل الميلاد.

اما في مبحث الوجود القومي للاشوريين فيعمد المؤلف في الاجابة على تساؤل طالما يثار حول انحصار الوجود القومي الاشوري هذه الأيام في المسيحية، وتحديدا في الكنيسة الشرقية النسطورية. وهنا ينفق الكثير من الاثاريين والمختصين في هذا المجال، على ان الامة الاشورية منذ ظهورها في بدايات الالف الثالث قبل الميلاد كقوة سياسية في المنطقة كانت قائمة على اساس فكري وحضاري وديني متميز، وليس على اساس عرقي والانتماء إلى جد واحد غالباً ما يكون وهمياً! لان الاشوريين لم يدعوا يوما بانهم احفاد شخص واحد أو جماعة محددة، بل يؤمنون بانهم عصارة وورثة حس حضاري متميز وانهم ابناء جماعة حضارية قائمة بذاتها في وطن محدد منذ القدم، وهي متميزة ومختلفة عما يجاورها من البشر في اسلوب عيشها ونظامها السياسي والديني والفكري والاقتصادي.. . وغيره. وكذلك في موروثها الحضاري والادبي واللغوي.

ان تعددية التسميات التي يعاني منها الاشوريون اليوم، نبعت من تصورات الغرباء تلك التصورات التي كانت وراءها أهداف ومقاصد لا محالة وغرزت في ذهنية بعض الاشوريين المسيحيين، مع ان اساليب العمل في هذا المجال متعددة وان بعضها مزين ومؤطر بالوعود الجذابة، ولكن الغاية القصوى لمثل هكذا عمل هي الاخلال بالوجود القومي الاشوري وحرمان الاحفاد من حتى وراثة وطن الاجداد في البلاد الاشورية وخاصة العراق.

رحلة سكماني... ثاني رحلة عراقية إلى البلاد البعيدة

باسم عبد الحميد حمودي

قام المار يوسف أودو بطريك بابل الكلداني بثاني رحلة له إلى روما في ايلول ١٨٦٩ ووصلها في ٢٧ تشرين الثاني من نفس العام، وكان المار يوسف اودو قد رحل قبل ذلك من الموصل . مقر اقامته . إلى روما في تموز ١٨٦١ لبحث مشكلة ملبار بينه وبين الفاتيكان ، لكن الرحلة الثانية هي الاهم والاكثر وضوحا اذ صحب معه عددا من رجال الدين ومن التلامذة وكان بين هؤلاء الشماس اسحق سكماني الذي قام بكتابة يوميات الرحلة باعتباره الكاتب الخاص للبطرك اودو وبذلك اوضح للاخرين اهمية هذه الرحلة في اجوائها الدينية والاجتماعية والتاريخية.

واسحق سكماني ليس أول رحالة انجبته القونس فقد تبعه رحالة اخر هو الخوري (الياس ابونا) الذي يعد اول رحالة عراقية يصل اميركا التي يسميها (انكي دنيا) أي العالم الجديد وكان ذلك قبل رحلة سكماني مع البطريك اودو بسنتين فقد رحل ابونا من القونس إلى اوربا ثم اميركا سنة ١٨٦٧ واستغرقت رحلته (٥٥) يوما لكنه غادرها متجولا في المكسيك وبلدان اميركا الجنوبية مدة ست سنوات عائدا إلى بلاده عام ١٨٨٣، وقد قام ابونا بكتابة يومياته عن هذه الرحلة ونشرها الاب انطوان رباط اليسوعي ثم قامت بتحقيقها الاستاذة ابتهاج عمر الراضي ونشرتها تحت عنوان (رحلة المواطن العراقي الياس حنا الموصلي، اول سائح عربي يصل الاميركيتين) في مجلة المورد البغدادية العدد (٤) لسنة ١٩٧٥ ثم قام زودجها د. سامي سعيد الاحمد بنشرها بالانكليزية سنة ١٩٨٢ تحت عنوان (رحلة الكاردينال العراقي الياس حنا إلى الاميركيتين).

وقد استطاع الباحث السرياني العراقي الكبير بنيامين حدا د الحصول على مخطوطة رحلة سكماني من المرحوم الشماس ايليا عيسى يوسف ياقو اسحق سكماني وعنوانها الاصلي (من تواريخ الدور مع غبطة السيد يوسف اودو جانليق الكلدان كاثوليكين). والدور هو السفر والتجوال والسياحة والترحال).

ويصف بنيامين حداد صورة المخطوطة وكيفية (ذهابها) إلى البصرة وتواجدها هناك لدى اسرة حنينا الالقوشي ثم عودتها إلى القونس بالقول (ان القس جبرائيل حنينا الالقوشي الذي كان يخدم رسالته الكهنونية في البصرة قد استعار المخطوطة من رئيس شماسة القوش متيكابن اسحق سكماني وظلت المخطوطة في جوزة اسرة حنينا في البصرة حتى وقت قريب اذ عادت إلى اصحابها اسرة سكماني بفضل وساطة المرحوم المطران يوسف توماس الالقوشي فترة رعايته ابرشية البصرة.

اننا نورد هذه المعلومات للتاكيد على اهمية هذه المخطوطة لدى الاسرة الالقوشية خصوصا والسريان عموما، ويورد الاستاذ حداد معلومة اخرى مفادها ان الشماس اسحق بن ايليا قام بنظم تفاصيل هذه الرحلة شعرا وباللغة السريانية فقد كان واحدا من اعضاء الوفد الذي تراسه البطريك اودو إلى الفاتيكان وكان الراهب شموئيل جميل التليكفي قد نظم قصيدة في ٣٧٦ بيتا مربعا على الوزن السباعي الافرامي عن هذه الرحلة بعنوان (قصة رحلة الاباء المشرقيين إلى مجمع روما سنة ١٨٦٩). وقد كان الاب شموئيل ضمن التلاميذ الذين صحبهم البطريك للدراسة في معهد البروبغندا في روما وفي قصيدته يصف الاب جميل شجاعة البطريك في الطرق المقطوعة المليئة باللصوص وقطاع الطرق من القوش إلى حلب، وقد كان مع البطريك اودو في هذه الرحلة البطريك ماريو حنا تمرز مطران كركوك والمارايليا ملوس مطران عقرة والرئيس العام لاديرة الكلدان الاب اليشاع الدهوكي والقس من الالقوشي وثلاثة رهبان واربعة تلامذة للدراسة في روما واخرون اضافة للاب سكماني مدون تفاصيل الرحلة.

يقول الاستاذ بنيامين حداد وهو يحقق النص: (احسست وانا اتعامل مع النص كما لو كنت اترجم نصا من لغة إلى اخرى وقد حرصت كل الحرص على الالتزام الامين والدقيق بلغته، وهو يتحدث عن نص كتب باللغة العربية البسيطة القريبة من العامية قام المحقق بتهذيبها مع المحافظة على صياغاتها وشرح وتحليل الغامض منها لقراء هذا الجيل.

استغرقت الرحلة سنتين وثلاثة اشهر (١٨٦٩ . ١٨٧١) قام فيها الكاتب بتدوين يومياته التي نسقها بعد ذلك ويتماز مدونها (سكماني) بذلك الإحساس السياحي المرهف والالتفات إلى تفاصيل الاشياء ومكنوناتها وهو يعبر جبالا وسهولا وبحارا وينطلق من عالم سكوني مالوف هو العالم الاسيوي إلى عالم حراكي أكثر تالقا وجذبا اضافة لذلك فالرحلة فيها تفاصيل بلدانية وتاريخية كثيرة اضافة إلى طابعها الديني المتعلق بالنقاش مع مجمع الكرادلة البابوي حول عصمة البابا بيوس التاسع واقرارها حيث رفض كرادلة الشرق اقرار هذه العصمة رغم حصول البابا على اغلبية الاصوات المؤيدة لعصمته. ولا يقف سكماني عند تفاصيل النقاشات الكنسية داخل ذلك المجمع الكهنوتي بل يصف لنا روما بتفاصيلها المعمارية انذاك وينقلنا معه إلى استانبول ليطلعنا على ابرز معالمها مع وصفه لمقابلة السلطان عبد العزيز للبطريك اودو ثم يغادر الوفد العراقي السرياني استانبول إلى مصر ليحضى في الاسكندرية والقاهرة مائة يوم يزور خلاله الخديوي اسماعيل حاكم مصر انذاك.

ويدخلنا الرحالة سكماني في رحلته الشاملة بتفاصيل وغرائب الطقوس والممارسات الاجتماعية لهذه البلدان اضافة لوصف شامل للاثار واحوال الزراعة والصناعة والمناخ والنبات والحيوان والحرف وادوات العمل والمساجد والكنائس واحتفالات الناس واعرافهم وازيائهم المحلية واصناف اطعمتهم مع رصد للاحداث العالمية القائمة انذاك انها بالاجمال رحلة شاملة تجمع ما بين الوصف والتحليل للظواهر البشرية، أي الناس في معاشهم وترحالهم ومعتقداتهم وهي بذلك رحلة حضارية تتصل بوصف ثقافات الشعوب وفولكلورها ومن هنا جاءت اهمية هذه الرحلة التي يبعد زمننا عنها (١٣٥)عاما، وقد حقق الاستاذ بنيامين حداد بذلك جهدا ثقافيا خيرا يحمد عليه.